المحاضرة التاسعة: المجال والديمغرافيا

1)نشأة الديمغرافية التاريخية :

ظهرت الديمغرافية التاريخية أو علم السكان التاريخي كفرع جديد من الديمغرافيا في أوروبا الغربية في بداية الستينات من القرن العشرين، كامتداد طبيعي للديمغرافيا، وذلك عندما بدأت سلسلة من الدراسات الديمغرافية تستمد مادة اشتغالها من ماضي الساكنة التي تدرسها وذلك على يد الديمغرافي "لوي هنري" بالمعهد الوطني للدراسات الديمغرافية.

2)موضوعها :من بين الموضوعات التي تهتم بدراستها الديمغرافية التاريخية نجد

-معرفة التطور الديمغرافي لمجموعة بشرية معينة.

-رسم تاريخ التطور الصحي لهذه الساكنة بما في ذلك دراسة الأمراض والأوبئة.

-دراسة الأزمات والهجرات المحلية والدولية.

3)الديمغرافيا التاريخية عند المسلمين:

يمكن اعتبار نشأة الدواوين وتنظيمها وتحديد اختصاصاتها منذ فجر الإسلام إرهاصات مبكرة لظهور التعدادات، فقد كان الديوان يحفظ ما يتعلق بالدولة من الأموال والأعمال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال، ولقد وجد الديوان منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم من دون أن يتسمى بهذه التسمية، وقد بلغ عدد كتابه نيفا وثلاثين كاتبا في رواية القلقشندي أو أكثر من اثنين وأربعين حسب رواية الطبري، وعندما عزم عمر بن الخطاب على فرض العطاء لمستحقيه أمر بإحصاء الناس ليتمكن من توزيع الأموال الفائضة في بيت مال المسلمين، فبدأوا بقرابة الرسول ثم الأقرب فالأقرب منه، وفي عهد معاوية بن أبي سفيان كان في الكوفة والبصرة ديوانان؛ أحدهما بالعربية لإحصاء الناس وأعطياتهم وكان قد أنشأه عمر بن الخطاب والآخر لوجوه الأموال بالفارسية.

لم يهتم المسلمون سواء في المشرق الإسلامي أو الغرب الإسلامي بضبط تواريخ الأحداث السكانية وكرونولوجيتها، إذ لم يكن هناك وعي بتدوين المعطيات السكانية لذاتها أو للأغراض إحصائية حاضرا لديهم ،وإنما كان يتم تسجيل ما يتعلق منها بالزيجات والولادات والوفيات والأنساب عند الحاجة إليها في مجالات اجتماعية وعلمية غير ميدان السكان، كدراسة عدالة الرواة ومعرفية وفيات العلماء، وتدوين أنساب القبائل وضبط التنظيم الإداري والمالي للدولة الإسلامية بوضع سجلات الدواوين، كديوان الجند، ديوان العطاء، ديوان الخراج. وقد كانوا يؤرخون بعض الأحداث السكانية بالوقائع الكبرى والحوادث التي تحفظها ذاكرتهم الجماعية، وقد نبه الذهبي عندما تطرق إلى موضوع الوفيات إلى أن المسلمين الأوائل لم يعتنوا بضبطها كما ينبغي بل اتكلوا على حفظهم ،فذهبت وفيات خلق من الأعيان من الصحابة ومن تبعهم إلى قريب زمان الشافعي، ثم اعتنى المتأخرون بضبط وفيات العلماء وغيرهم ودائما كان حضور الذكور في الوقائع السكانية المدونة أكثر من الإناث.

في الغرب الإسلامي سبق للمختار السوسي أن طرح مشكل عدم اهتمام المغاربة سواء في جيله أو قبله، بتسجيل تواريخ الميلاد والوفاة بنوع من الضبط أي باليوم والشهر والسنة. وتجدر الإشارة إلى أن المصادر التاريخية التقليدية بما فيها كتب الأنساب والطبقات والتراجم والوفيات وكتب السيرة والمغازي والتاريخ العام وكتب الحديث وأدب الرحلات وكتب النوازل الفقهية وسجلات الخراج والضرائب وتقاييد وكنانيش المحاكم الشرعية، ومختلف العقود ذات الصلة بالمواريث والبيوع والأحوال الشخصية توفر للباحث أنواع من المعارف السكانية التي تتصل بشكل وبآخر بالأحداث السكانية المختلفة كالزيجات والولادات والخصوبة والوفيات والهجرات السكانية.

4) الديمغرافيا التاريخية في الفترة الوسيطة:

إن المسألة الديمغرافيا في الفترة الوسيطة تكتنفها عدة صعوبات كغيرها من المراحل التاريخية ولقد وردت في بعض المصادر التاريخية بعض الإحصائيات المشجعة والتقديرات اللفظية التي نستطيع أن نستنبط منها الكثير من المؤشرات الهامة عن: عدد السكان، قبائل بطون واتحاديات قبلية، عن المدن والأسواق وعدد المساكن والفنادق والحمامات، وعن عدد الجنود والمعارك وعدد القتلى والأسرى والسبايا .